

هل تريد السفر للمتعة أو للعمل أو لتغيير الجو وحتى للعلاج وربما للإيفاد؟ لا مشكلة فالطريق سالكة إلى دول العالم كلها، ما عليك إلا أن تأخذ جواز سفرك وتركب وسيلة نقلك لتكون في المكان الذي تريد.. فنحن بلد الحرية ولا أحد يمنع أحد من السفر.. الطرق مفتوحة.. ولكنك للأسف لا تستطيع الحصول على جواز السفر بعد أن ألغيت جوازات الأحرف كلها، والتي لم تلغ منعت من الدخول إلى معظم الدول.. لا بأس تستطيع الحصول على الجواز الصالح بحرف (ج) لا أحد يمنعك من الحصول عليه كل ما عليك فعله الآن وقبل الصيف عندما يحاول الكثيرون الحصول على الجوازات، للهروب من حر الصيف وانقطاع الكهرباء الذي لا يهمننا الآن، أن تذهب إلى الجوازات التي حصرت في مكان واحد ولتعرف متى موعد محلتك وهو موعد يطل عليك كل أربعين يوماً أي إنك إذا كنت محظوظاً وذهبت في الموعد المحدد ستنتظر مدة أربعين يوماً للحصول على جوازك.. وسافر أينما تريد ولكن بأحلامك!!!

وعلى ذكر أحرف الجوازات أتذكر في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي كان بإمكان أي شخص الحصول على جواز السفر خلال يوم واحد.. ولا أحد يعرف أي حرف جوازه المهم هو جواز نافذ، ويتم هذا بتلك الإمكانيات البسيطة الموجودة آنذاك لا حاسوب ولا تكنولوجيا أتينا بها لتسهيل المهمة فإذا تصبّح الطريقة المثلى للتعقيد.. وهذا الجواز جاهز ومطموغ بأنه يمكنك دخول دول العالم كلها إلا إسرائيل.. وطبعاً لم يفكر أحدنا أن يزور إسرائيل بل مجرد ذكرها كان يثير اشمئزنا، وكنا ندخل دول العالم.. صحيح كثير منهم لم يعرفوا العراق ولكنهم يتعاملون مع العراقيين باحترام.. أما اليوم فالكل يعرف العراق ويعامل العراقيين كأنهم يحملون الإرهاب في حقائبهم وجيوبهم..

هناك هذه الأيام مسألة القتل على الأسماء ولا أدري هل الاسم حكر على أحد دون الآخر.. كم (علي) سني وكم (حيدر) و(حسين) و(جعفر) و(صادق) و(عباس) و(فاضل) و(كرار) و(كاظم) و(جواد) سنة.. لماذا يؤخذ الاسم كجريرة.. وما الفرق الذي يعطيه الاسم أليس عمل الإنسان وأخلاقه وأفعاله هي التي تحدد مكانة هذا الإنسان وذاك..

لم يعرف عن بغداد إنها حكر على طائفة معينة، بل إن أهل بغداد يجمعهم كونهم بغدالة.. ففي العشرينيات وما بعدها من القرن الماضي كانت عوائل بغداد معروفة، ومتعايشة مع بعضها، ليست العوائل السنية والشيعية فقط بل العوائل المسيحية وحتى اليهودية، إنما التفرقة تكون على أساس إن هذه العائلة طيبة الأعراق أم لا.. وكانت العوائل لا تعرف بالعشيرة والقبيلة إنما بالمحلة فهذا من أهل الكرادة وذاك من باب الشيخ والأخر من الكاظمية أو الكرخ، وكانت المحلات وعوائلها يعرفون بعضهم ويحسون بعضهم ويحسون فتيات محلتهم ويقفون لبعضهم البعض في السراء والضراء، ويقفون جميعاً وقفة واحدة أمام المخطئين منهم، أهل بغداد كانوا معروفين بإكرام الضيف، وجاءت عوائل عديدة من المحافظات وسكنوا بغداد وتطبعوا بطباعها وأصبحت بعض المناطق تسمى بأسماء المحافظات، والسني يشارك الشيعي في الأعمال الحرة، والمدرس يمدح ويقف بجانب الطالب المجتهد سواء كان من هذه الطائفة أو تلك، والطبيب يعالج المريض ولا يهتم بانتمائته، والموظف يقوم بعمله والفاضل يحكم بالعدل ولا شيء غيره.. والحقيقة بقينا على هذه الحال طوال سنوات عمرنا، فالجار الطيب عزيز مهما كان مذهبه، وصاحب المحل يجذبنا بدمائه وأخلاقه وليس باسمه ودينه، وعندما تجد صديقاً مخلصاً هل تسأله ما أنت وعليه أقرر صداقتك؟ هذه الأمور لم تكن يوماً من اهتمام أهل بغداد.. أهل بغداد يعقدون جلسات أسبوعية تسمى (القبول) قد تكون رجالية أو نسائية، يتناولون مختلف الأمور الفكرية والسياسية والأدبية

وربما مجرد الثرثرة عن أخبار الأصدقاء والأعداء، وكانت العوائل البغدادية تخصص يوم الخميس للزيارات العائلية بين الأقارب، أو للذهاب إلى السينما، وكان يوم الجمعة وخاصة في مثل هذه الأيام الربيعية تخصص للسفرات القريبة في البساتين المحيطة ببغداد أو الذهاب إلى سلمان باك أو سامراء أو الذهاب للزيارة للنجف وكربلاء، كان الناس يدخلون إلى بستان ما لا يسألون من هو صاحب البستان وما هو دينه أو مذهبه وهو كان يستقبل الزوار ولا يسأل من أي عشيرة، لكن اليوم وبعد أن تزايد الدخلاء على هذه المدينة، وبعد أقحمت الطائفية إقحاماً في حياتنا، بدأت المصائب تترى وتنهال علينا بين قتل وتشريد وتهجير و..و..وهؤلاء الذين يقومون بهذه الأعمال هم أصلاً فاقدين لإنسانيتهم، والإنسانية قبل الدين والمذهب والعشيرة وغيرها من المتعلقات بالإنسان كإنسان.. فهم أيضاً فاقدين لكل هذه الصفات.. هم حيوانات مفترسة، لا والله الحيوان يفترس ليسد رمقه ويقضي على جوعه، ولا يفترس للمتعة، أما هؤلاء.. لماذا يقتلون إنساناً ولماذا يعتدون على آخر؟ لماذا يهجرون عائلة من بيت تملكه منذ عشرات السنين؟ هل وصلت الحالة إلى الاستمتاع بأذية الآخر؟ أعوذ بالله.. لماذا أخذوا منا بغداد وتركوا غرباء فيها؟ أخذوا الحب والأمان والجيرة الطيبة والوفاق بين أهل المحلات وتركوا لنا الشقاق والنفاق والألم! سقط الجسر الحديدي (جسر الصرافية) في نهر دجلة، سقط معلم آخر من معالم بغداد، وضع بشكل جلي الحقد الكبير على بغداد، القضية ليست التدمير فحسب المسألة اختيار معلم واحد بعد الآخر.. المصيبة ليست في الازدحام الذي سيحصل ولا في قلة الجسور التي يُسمح لنا باستعمالها ولا في اتهام نقاط التفتيش التي سمحت للشاحنة بالعبور ولا المشكلة في الأمر الأعوص وهو تلغيم أعمدة الجسر وكيف سُمح لهم بالوصول إلى هذه الأعمدة.. المشكلة إننا نفقد تاريخاً وحضارة ونفقد ذكريات وأيام عشناها بسقوط هذه المعالم في بغداد.. هل تذكرون ألما بسقوط الجسر المعلق؟ ألما اليوم مضاعفاً لأن هذا الجسر يمدنا بذكريات أقدم وأحلى، يذكرنا بطفولة وشباب وحياة مرت علينا ونحن ننظر إلى المستقبل نظرة تفاؤل.. من منكم اليوم يشعر بهمسة تفاؤل، وأين نجد التفاؤل في البنايات المهتمة نتيجة الحرب أو المفخخات أو العبوات، أم في الأزقة التي صارت متاريس يحتمي بها الحرس الذي يفترض به حمايتنا، أم في المتاهات التي تعاني منها أغلب مناطق بغداد بعد أن سدت كل المنافذ في المناطق حتى بنتنا دور في حلقات مفرغة لنخرج من محلتنا، وكأننا عدنا صغاراً نلعب لعبة المتاهة ومن يصل إلى الكنز.. يقال إن خطة فرض القانون ناجحة وإن الأمن بدأ يستتب!! لنستعرض أبرز ما حدث، انفجار داخل البرلمان، اغتيال جسر الصرافية وسقوطه في نهر دجلة، تدمير شارع المتنبي وحرق التراث الأدبي ونقول إن هولاءكو دمر المكتبات في تاريخنا.. انفجار في وزارة البلديات، انفجار شاحنات معبأة بغاز الكلور السام، وانهمار الصواريخ في كل مكان ومنطقة، انفجار العديد من السيارات المفخخة والعبوات الناسفة والعثور على عشرات المغدورين يومياً، ما عدا ما يحدث في المحافظات.. الحلة، الديوانية، كربلاء، النجف، الموصل، الانبار، ديالى، وغيرها.. ولا زلنا نقول إن الخطة ناجحة والنتائج جيدة، يا ترى ماذا كان سيحدث لو إن الخطة فشلت ياويلاه!!!